تأملات في الميزان

إدراك وحدانية الله عبر الميزان

ولا تُخسروا الميزان

www.qeam.org
www.zumord.net

الميزان (التفاعلي)	
ميزان الامتثال	فقه الميزان
ميزان التدافع	ميزان القيم
ميزان التفاعل	ميزان السلالم
ميزان الإذعان	ميزان الحواس
ميزان الدوران	م. البروتوكول
ميزان الفيزياء	ميزان التعايش
ميزان الدوافع	ميزان التكامل

الميزان (التفاعلي)	
ميزان الروافع	ميزان المشكاة
ميزان الجذب	ميزان النسبية
ميزان الطفو	ميزان الحوار
ميزان الإبدال	ميزان التقدير
ميزان التلف	ميزان الحب
ميزان التغيير	ميزان الحقوق
ميزان الأثر	ميزان التعامل

ولا تخسروا الميزان

إن هذا الكون خلق وفق ميزان، وثمة ميزان لكل عنصر خلق عليه ليمتثل عبر سمات، أو عبر طبع وسلوك، أو وفق قوانين وسنن، ومع السنن الكونية، فان لكل سنة ميزان وقدر يجب أن تستوفيه حال ظهرت دواعي تطبيقه، فلا تخسروا الميزان، إرشاد بألا نتعدى الحدود ولا نتجاوزها، ذلك ان التجاوز يعني عدم الانسجام مع كل ما خلق، فإن تجاوز انفلت وتعرض هذا الذي انفلت للخسران، إما عبر عقوبة أو نبذ، والموازين تتعدد، منها ما يخص الوظائف كوظائف البكتريا ومنها ما يخص الأنظمة كنظام البيئة، ومنها ما يخص السلوك كالنظام التجاري في المعاملات، ومنها ما يخص الغذاء، وهكذا، فإدراك ميزان كل نظام، وسمات كل عنصر مشمول فيه نجاة للإنسان وللبشرية وإعمار للأرض. وفيما يلي من تأملات بيان مبسط عن تلك الموازين عبر البُنا التحتية التي تنطلق منها، وكي يسهل العرض فقد اعتمدنا (المفاهيم والظواهر) فعبرهما تكون الانطلاقة، مستهدفين بذلك بيان انسجامها مع (الميزان)، ومع إدراك الانسجام هذا تعزيز لوحدانية خالق هذا الكون الذي ارتشف من صفاته ما يدل عليه سبحانه.

ميزان الامتثال

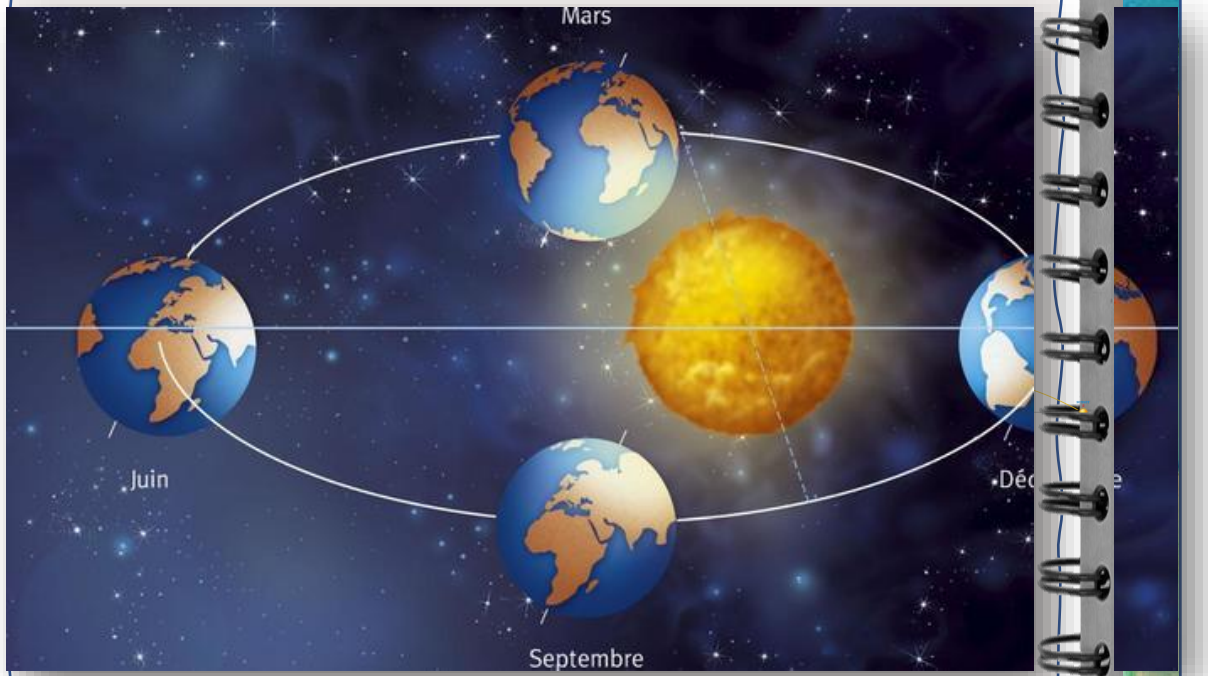

الميزان.. عبر مفهوم (الامتثال)، فكل ما خلق الله من عناصر هو ممتثل عما خلق عليه عبر سمات، فالحديد سماته لا تتغير سواء ظهر في البحر أو اليابسة أو في كوكب سماوي أو على الأرض، والمعادن ممتثلة لخصائص جبلت عليه، عبر درجة توصيل كهربائي أو عبر مدّ وطرق، وأجسادنا امتثلت فيما تقوم به من وظائف عبر تنفس لا إرادي، أو ضخ للدم، أو تصفية سموم عبر صفائح دموية، أو جهاز بولي، وقد أودع الله في كونه سنن امتثلت له فما مر بأقوام كقوم ثمود وفرعون وعاد ولوط من عواقب، إنما هي لعدم امتثالهم سلوكا، وهو ما لم ينسجم مع ميزان ما خلق عليه هذا الكون من قانون وأحكام، والامتثال هو انسجام لحراك كوني عظيم تمضي فيه أحداث الأرض والكون من حولها، فحراك الكواكب من حول الشمس وما ينتج عنه من ليل ونهار جُعِلَت مواقيت الصلاة ممتثلة له لينسجم الإنسان ويمتثل حتى مع الازمان، فالامتثال ميزانٌ من سمات ومواقع وأزمان وسلوكيات.

ميزان التدافع

الميزان.. عبر ظاهرة (التدافع)، فالتدافع مسار نجده مع الزمن تارة ومع الجمادات تارة، ومع البشر تارة أخرى، فهو ما بين الليل والنهار زماناً، وما بين الماء والنار جماداً، وما بين نواب المجالس البرلمانية سلوكاً، وتتعدد صوره ما بين الشعوب وحكوماتهم، وما بين الحق والباطل، وهو ما يؤدي للتوازن إن كان المنشود حق، والتدافع قد يكون محوره الطعام، أو الثروات، أو الأعراق، أو في الاستحواذ على الأسواق، أو لمجرد السيطرة، فكل ذلك إن لم يحتكم للميزان، فهو إلى الخسران أقرب.

ميزان التفاعل

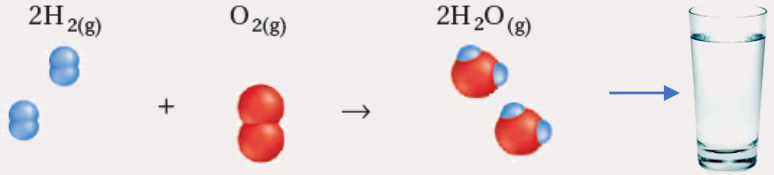

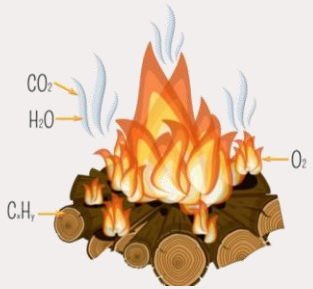

الميزان .. في (التفاعلات)، الكيميائية فيما بين العناصر أو المواد، وهو ما ينتج عنه مواد مطورة ومحسنة في السمات، فمع المفاعلات النووية يتم استخراج الطاقة، ومع تفاعل غازي الأكسجين مع الهيدروجين يتم استخراج الماء، ومع تفاعل الصوديوم مع الكلور يتم استخراج الملح، والتفاعلات تتكرر في مجالات لا حصر لها، حتى مع ما يمنحنا حرارة الأجواء عبر تفاعلات نجم الشمس من حولنا، فهي إن كانت فيزيائية مع العناصر، فهي نفسية لدى الإنسان حين يزيد ضغط الدم لديه أو عن مرض نفسي، وهو ما يؤثر على نظام هضم الطعام لديه وكذلك في إفرازاته، وتكون التفاعلات سلوكية في شكل (العراك) لدى الإنسان والحيوان والحشرات، فصور التفاعلات مستمر في سائر الكائنات، ويبقى أن نذكر من أن التفاعلات إن لم تحتكم لميزان فهي إلى الخسران أقرب، فالتفاعل الذي ينتج عنه الغضب عند الإنسان إن لم يضبط فسيؤدى إلى الخسران، والمعارك إن لم تحتكم لميزان العقل فمصيرها الدمار، ومع التوجيه اللهي (**إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ**) يحسن أن ندرك قدر الموازين فيه لنظفر.

ميزان الاذعان

ميـزان.. (الإذعـان)، حـين تـذعن اللبـؤات للأسـد، وحين تمضي قطعان إفرازاته للأقوى من الذكور، وحـين تعمـل ممالـك النمـل وممالـك النحـل للملكـة، وحـين يـذعن الموظفـون امتثـالا للهيكـل الإداري لمـديرهم، وهكـذا مـع ممالـك الحيـوان مـن طيـور والحشـرات و الأسـماك ، ويـذعن الشـعب لطاغيـة، وأُذعـن الجـن لنبينـا سـليمان عليـه السـلام، ويـذعن المسجون للسجان، وتذعن الذرات وفق ما جبلت عليـه مـن سـمات لـذرات أخـرى، ويـذعن الحديـد فينصـهر أمـام درجـة (1,538) مئويـة، ويـذعن الرصـاص لدرجـة (327,5) مئويـة، ويـذعن المـاء لدرجـة التجمـد فـي الصـفر المئـوي، فتلـك صـور الإذعـان، وهـي تمضـي وفـق ميـزان فـي السـماوات والأرض إذ (قالتـا أتينـا طـائعين)، ويسـتمر الإذعـان مـع الإنسـان كمخلـوق حـين يستسـلم الركـب لقائـد، وحـين تـأتمر المـرأة للرجـل، وحـين يلـزم العقـد التجاري الموقع بين طرفين تنفيذ بنوده.

ميزان الدوران

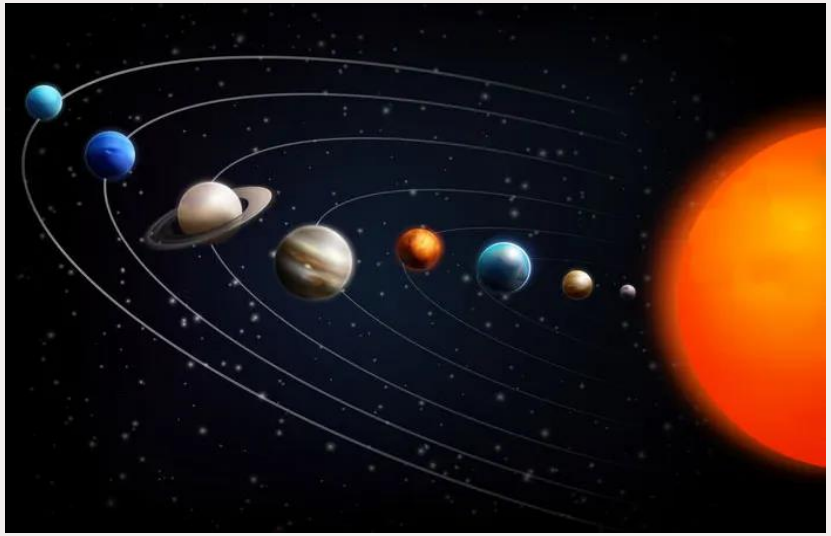

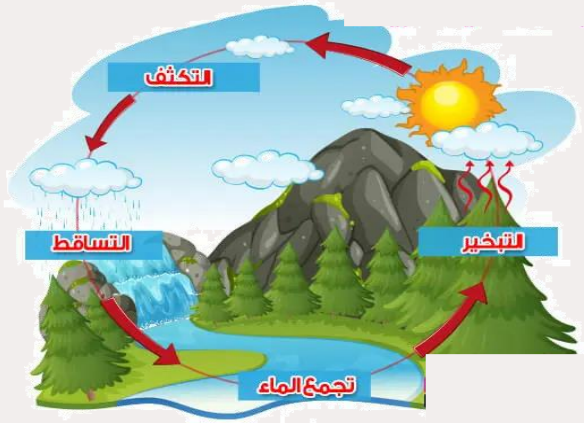

الميزان.. عبر (مسار الدوران)، وإن بدا لنا الخط مستقيما فيه غير أنه يمضي بشكل دائري، وظاهرة المسار الدائري تتكرر، فهي مع الكواكب والمجرات، إلى دورة الماء في الطبيعة من تبخر المحيطات إلى سقوط الأمطار، إلى دورة الدم في جسم الإنسان، ودوران الطواف حول الكعبة، ودوران الإلكترونات حول البروتونات في الذرات، ظاهرة دوران وفق ميزان دقيق محسوب، وما مواقع النجوم إلا عن دوران امتثلت إليه الكواكب والمجرات، وحين تدور الأحداث فيصبح الفقير غنيا والغني فقيرا، ويلحق بحضارة بشرية ما بعد قمة نحو اندثار، وفي السلوك التعبدي حين يَحول الحول في دفع الزكاة، فالدوران شمل عبر صوره الزمان والمكان والإنسان والحيوان، فالدوران بصمة فيما خلق الله سبحانه وأبدع.

ميزان الفيزياء

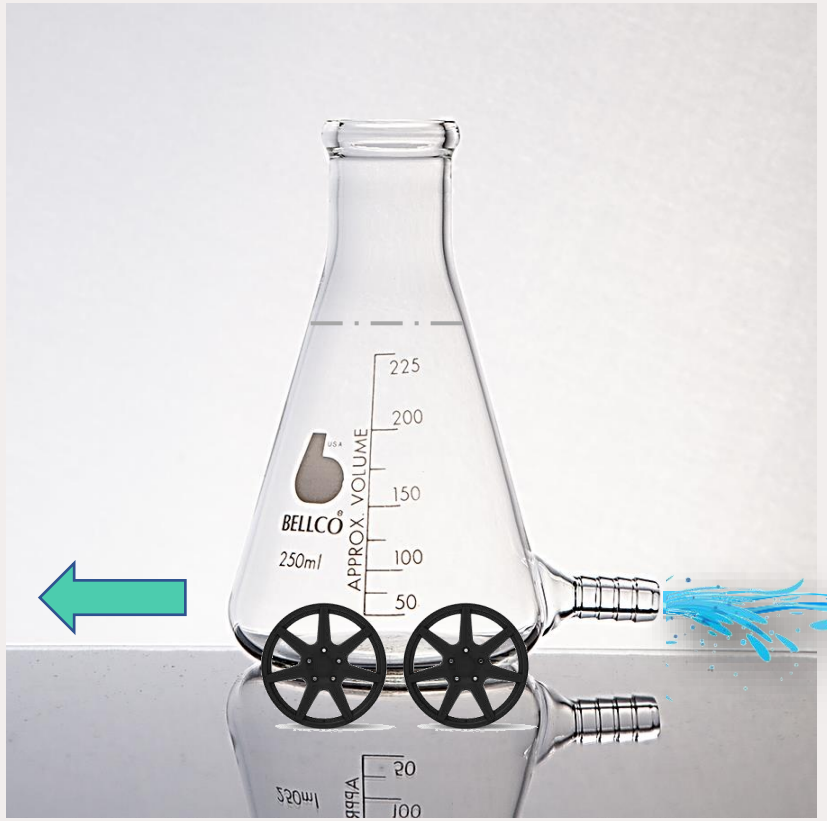

الميزان .. في علم الفيزياء، فقوانين الطبيعة من حولنا، في مثل معدل ارتفاع الماء في القارورة حين يفتح صنبور لها يدفع بعجلاتها لمسافة تعادل حجم ارتفاع الماء فيها، وكذلك مع الألم يبدو الأمر كذلك، (فالمدى) الذي يزول بعده الألم، يحتكم لذات قانون إطالته وقصره، فلعل معدّل الإثم المرتكب له علاقة بعاملين، عامل زمني وآخر عامل مقدار شدة الألم، واللّطيف سبحانه يقدر وُسع الإنسان، ليكون المدى الزمني منسجما مع مقدار تحمل هذا العبد للألم، فإن كانت قدرة تحمله عالية، قَصُر مداه الزمني، وإن كانت قدراته منخفضة طال أمده زمنيا، ورفع اللألم يكون على مدى الاستغفار والتوبة الذي يبديه العبد لربه، ولعله إن طال، فلمحبة الرب سماع دعاء عبده المستغفر، المنكسر قلبا وجسدا.

ميزان الدوافع

الميـزان .. فـي مفهـوم (المحفـزات والـدوافع) فمـا يـدفع المركبات في حراكها هي مشتقات البترول، ويضيئ المصابيح في المنازل هي الكهرباء، ويسرج المشكاة هو الزيت، ويحرك القاطرات هو الفحم، ويحرك المصانع هي الطاقة النووية، والطاقات تتنوع، فثمة طاقة الرياح، وثمة طاقة البحار، وثمة طاقة البراكين الأرضية، فدافع الحراك ومحفزه على تنوع أشكاله هو الوقود المشغل على تنوع ما نراه من صور التشغيل، فمن غير وقود فلا حراك، ولا إنجاز، والأمر يصدق مع ما نأكله، فحين حرمت الخبائث كلحم الخنزير والخمر، ذلك لعدم انسجامهما مع موازين الطاقات، فأي طاقة يجب أن توجه بما يعزز الميزان، وفق ما شرعه الله، والا أصاب الكون المحيط بالأرض والإنسان الخلل، وحين حرم الربى والغش والزنى والقمار، فعن عدم الانسجام مع الميزان، فالميزان هو (الأصل) سواء ظهر الميزان في شكل دافع أو طاقة، وهو ما ينسجم كمفهوم مع (النيّة)، فحين قال رسولنا الكريم (إنما الأعمال بالنيّات) فالسلوك يكون على الدوام مدفوع بنيّة، سواء كانت النيّة حسنة أو سيئة، فالنيّة هي الطاقة الدافعة للسلوك.

ميزان الروافع

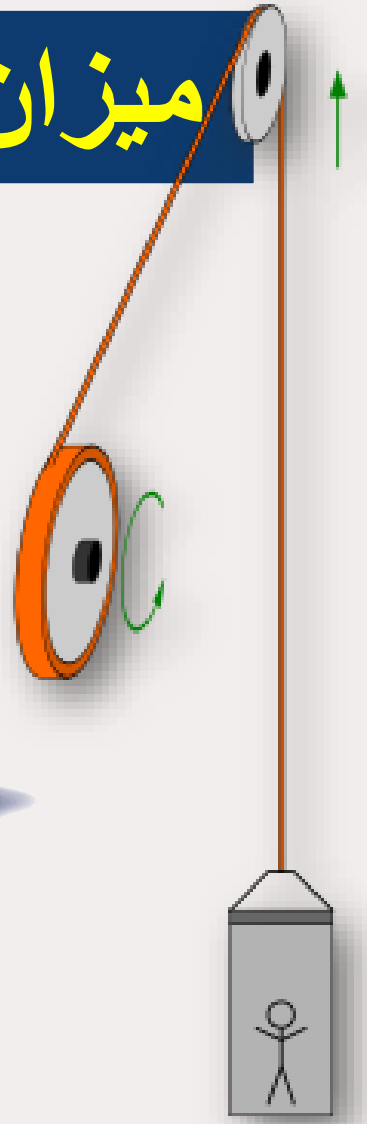

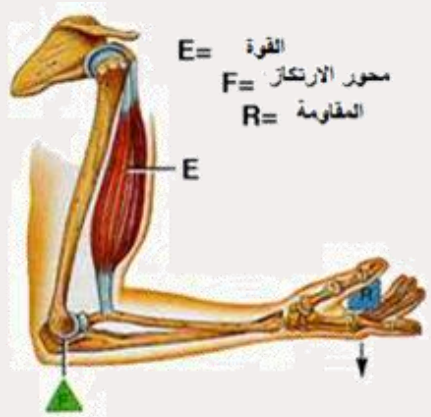

الميزان .. في مفهوم (الرفع)، فالبكرة تمكنت من اختزال طاقة كبرى كانت ستصرف لرفع ذات الأثقال، فصار من السهل رفع ما هو أكبر حجما واثقل وزنا عبر وفر في الطاقة وبجهد أقل، والرفع نتائجه أعظم إن تم تحقيقه، فهو ما نعاينه عبر أشرعة السفن إذ تجمع الأشرعة الهواء لتنطلق المراكب ماخرة في البحار، وهو مع الأقمار الصناعية حين تكشف مواطن الخلل عن علو وارتفاع، رفع اختزل معه المسافات وعززا للتواصل فيما بين الشعوب مع اختلاف الثقافات، فالبكرة وموتور الكهرباء والروافع على تعدد أنواعها واشكالها ، تمضي وفق ميزان دقيق ومسار ذكي، وكذلك حين اختزل رسولنا الكريم المدى الزمني الذي يقضيه المصلي في دعائه، فعَنْ جُوَيْرِيَةَ بنت الحارث، أم المؤمنين رضي الله عنها؛ أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم خَرَجَ مِنْ عِنْدِهَا بُكْرَةً، حِينَ صَلَّى الصُّبْحَ وَهِيَ فِي مَسْجِدِهَا، ثُمَّ رَجَعَ بَعْدَ أَنْ أَضْحَى، وَهِيَ جَالِسَةٌ، فَقَالَ: ((مَا زِلْتِ عَلَى الْحَالِ الَّتِي فَارَقْتُكِ عَلَيْهَا؟)) قَالَتْ: نَعَمْ، قَالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم:((لَقَدْ قُلْتُ بَعْدَكِ أَرْبَعَ كَلِمَاتٍ، ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، لَوْ وُزِنَتْ بِمَا قُلْتِ مُنْذُ الْيَوْمِ لَوَزَنَتْهُنَّ: سُبْحَانَ اللهِ وَبِحَمْدِهِ عَدَدَ خَلْقِهِ، وَرِضَا نَفْسِهِ وَزِنَةَ عَرْشِهِ، وَمِدَادَ كَلِمَاتِهِ)، فذلك مما ينسجم مع الرفع والدرجات، أوحين يكون مع المأكل والنوم حين تسبقهما نية التقوى على طاعة الله، فهو مما ينسجم مع مفهوم روافع الاجر، فتلك صور اعتمدت على المجهود القليل والنتائج العظيمة، وذلك ما ينسجم مع الميزان.

ميزان الجذب

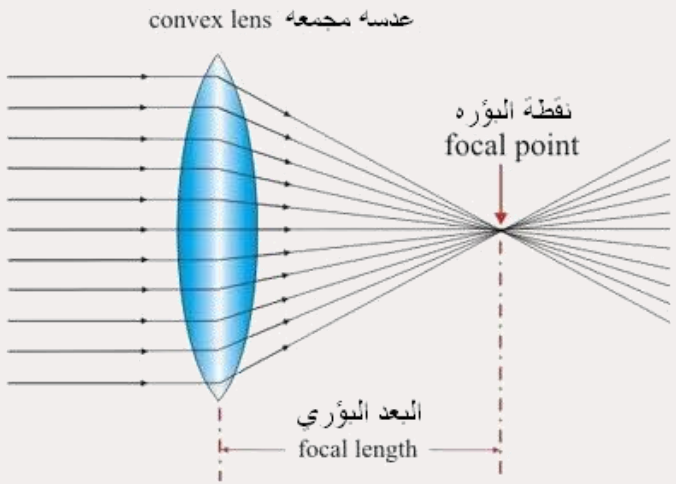

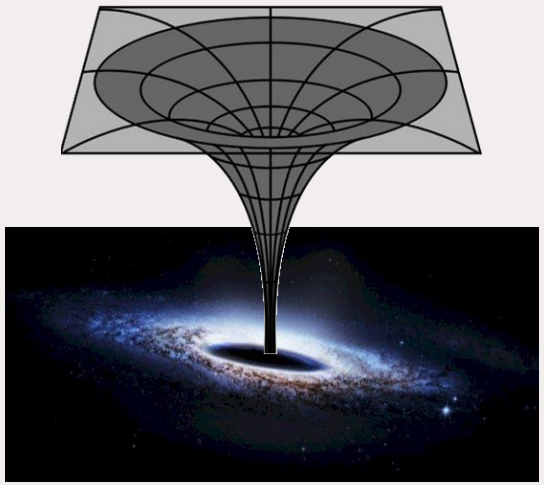

ميزان .. (الجذب)، نجده عبر رزمة الأشعة المنبثقة عن عدسة لامة تكون قادرة على الإحراق بحكم قانون التركيز الذي جعل الإشاعة ضمن بؤرة واحدة بعد أن كانت متناثرة، وما الثقب الفضائي الأسود إلا عن ذات الجذب البؤري، وما الاتحاد الذي أُمرنا به إلا دعوة عن ذات المفهوم، فهو مسار لا يكون إلا عن جاذب ومجذوب، والمجذوب من تعلّق بحبيب أو حبيبة، أو لعلاقة هيام نحو الله، فالجذب كمفهوم هو مشمول بالميزان، منثور في كونه حين امتثلت اليه سائر الموجودات عبر طبيعة جاذبية أرضية ليثبت ثم يسكن كي يعمّر، فتعدد مسارات الجذب وصوره تعزيز لوحدانية خالق هذا الكون.

ميزان الطفو

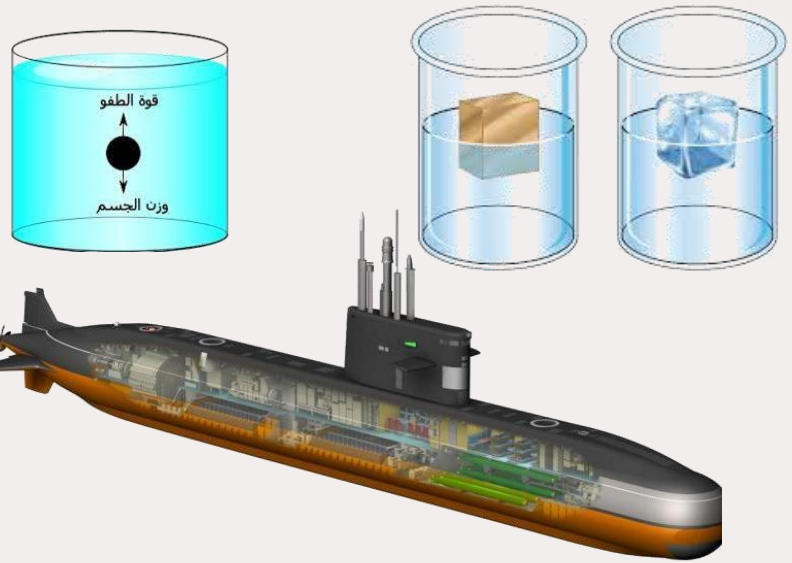

الميزان .. في مفهوم (الطفو)، فالطفو هو ظاهرة تحرك الأجسام في الموائع (السوائل والغازات) إلى الأعلى إذا كان محيطها أعلى كثافة منها، ومثال ذلك طفو الخشب على الماء، وطفو الزيت على الماء والمنطاد والغواصة (1)، والتوازن الذي تمضي فيه الكواكب في حراكها وكأنها تطفوا في الفضاء إنما هو كائن عن توازن لعمليات جذب وقوى طرد مركزية عن حراك، وما دعوة رسولنا الكريم (بالتغافل) عما يزعجك من لفظ أو سلوك سلبي ممن هم من حولك إلا شكل من أشكال الطفو لتستريح، وما (القناعة) إلا مقام طفوٍ في (الحياة الطيبة)، فالطفو هو للأجسام كما للسلوك والأفكار، وهو نمط حياة، وهو ما ينسجم مع الميزان.

ميزان الإبدال

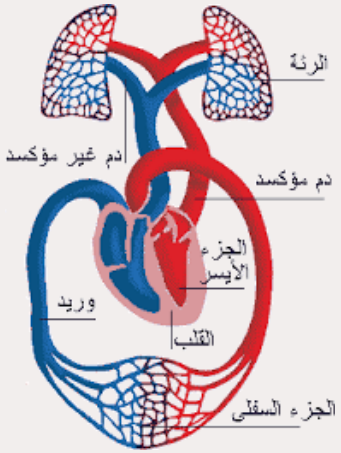

الميزان .. في (التبادل) والاستبدال، فها هو النبات يتبادل مع الإنسان غاز ثاني أكسيد الكربون ليمنحه غاز الأكسجين عوضا عنه، وذات الأمر مع ما تبثه المصانع من ملوثات غازية ليعزز للاتزان لبيئة صالحة للحياة على الأرض، وذلك عبر مادة الكلوروفيل، وعمليات الاستبدال مستمرة في البحار والمحيطات عبر دوران رأسي للماء فالماء الدافئ يتحرك للأعماق ليحل محله الماء البارد، وما الدورة الدموية للقلب إلا تبادل مستدام فيما بين غازات الأكسجين والمواد الغذائية بين المواد الضارة الناجمة عن عمليات الأيض في الجسد، وفي عمليات إعادة تدوير المخلفات، وفي النظام البيئي حين تطهر مياه المحيطات مما علق بالتربة من ملوثات، وتطهر الامطار مما علق في الأجواء من عوالق، ومع السلوك يلفت اسماعنا الله تعالى اذ يقول (هَلۡ جَزَآءُ ٱلۡإِحۡسَٰنِ إِلَّا ٱلۡإِحۡسَٰنُ) فالعوض يكون بالإحسان سلوكا، وفي رد السلام ومع الاعمال سبحانه يستبدل السيئات بالحسنات حين يتوب العبد ويجبر عمله الإثم بعمل صالح، فالإبدال والاستبدال ينسجم مع الميزان.

ميزان التلف

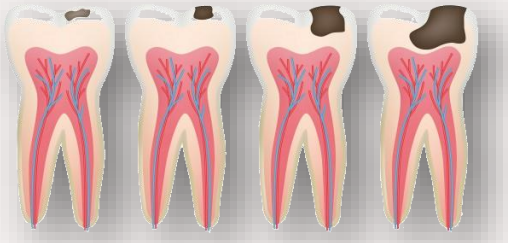

ميزان.. (التلف)، يعني بأن لكل شيء نهاية، ومدى زمني يقضيه ثم ينقضي إما عن وظيفة، أو مرض، أو عجز، أو موت، فبدأ بالجمادات، فمعظم المعادن تتعرض للصدأ، وما الصدأ إلا حالة من الخور تحد من استدامة سمات المعدن، وجميع الأطعمة تتعرض للعفن، والإنسان والحيوان والنبات يتعرض لأنواع من الأمراض وتلف الأعضاء الحيوية في الأجساد، وقد جعل الله سبحانه لكل داء دواء، وعليه صارت لصيانة المواد والأجساد صناعات، فظهرت مواد الطلاء لتحد من تسارع خور سمات المواد، والمستشفيات لتطيل من أعمار وظائف الأجساد، فما نتعرض إليه من تلف كظاهرة منثورٌ في كل ما هو من حولنا ومحتكم لموازين، وعملية ابطائها تتطلب استكشاف سبل صيانتها، فالتلف ظاهرة ينثرها (الجبار) في كونه ليعزز من أن البقاء فقط لله الواحد القهار.

ميزان التغيير

ميزان.. (التغيير)، ويعني عدم الاستدامة، فعنصر البطء الزمني أساس فيه، فمع الطبيعة صار انفصال القارات بعد التحام ، ومع البيئة فقد كانت الجزيرة العربية مروج وغابات، وتضاريس الأرض صارت تموج فتتشكل عبر حراك من الرياح وسيول الأمطار، والغيوم، إذ لا تسكن على حال، والجبال إذ تمر مر السحاب، ومع الأزمان نجد الليل يغشى النهار، ومع الأمم حين تردد بالنهضة فتسود ثم تباد على مر عقود، ومع تغيير العادات والأطباع ميزان في السلوكية لدى الإنسان وآخر مع الحيوان، ومع انتشار الأمراض تغيّرت أنماط الحياة، وقد قال الله تعلى: (إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوۡمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمۡ)، فالتغيير وعدم الثبات على حال سمة مع كل ما خلق سبحانه، وللتعامل مع المتغيرات ومسار التغيير سنن وموازين، أودعها الله وفق إشارات في كتابه الكريم.

ميزان الاثر

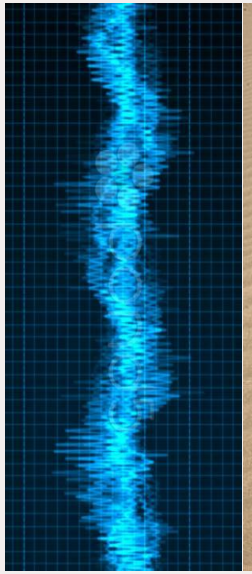

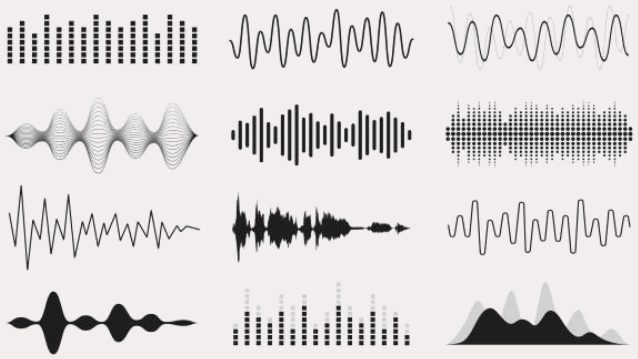

ميزان.. (الأثر)، ذلك إن كل ما حولنا من مخلوقات إنما هي أثر عن مُوجد عظيم، والأثر صوره لا حصر لها، فهي في الأثير عبر موجات صوتية، وأخرى في الفضاء ضوئية، ومع التراث هي آثار عن أقوام سادت ثم بادت، وهي مع الأحداث عبر ما تخلفه من إعمار أو دمار، وهي مع السلوكيات بما يترك أثرا في مثل قدّ قميص نبينا يوسف عليه السلام من قبل امرأة العزيز، وفي كشف الأدلة عبر أثر البصمات، وما الأحافير؟ إلا عن أخبار سُجّلت عبر عصور، وحياد الميزان يكون حين يقال أن أصل الإنسان قرد، وادعاء إخوة يوسف بالطهر حياد عن هذا الميزان، فتعدد صور (الأثر) وفق مركزية المفهوم يعزز من كون موجده وخالقه واحد لا شريك له.

فقه الميزان

الميزان.. (الفقهي)، ليس مجرد أحكام بإفعل ولا تفعل، وإنما قواعد وأصول، وتحليل واستنباط، وظرف مكاني وزماني، وأولويات، وواجبات وتحسينات، ومقاصد، وإن ورد توجيه أو تكليف نحو سلوك ما وجب أن يوزن بناء على سياق التوجيه والقاعدة التي بني عليها التوجيه، فالحكم يصدر بعد دراسة عبر أوزان، فهو عملية دقيقة في تقعيد السلوك، وتقعيد الواجبات، والتحسينات، والمباح، أو بما لا ينطبق وفق كل ظرف وحالة، أما مصطلح (الوسطية) إن كان يعني (التوسّط) فحسب فهو لا يصح، إذ نحن أمة (الميزان) أيضا، ذلك إن من عرّف الوسطية بأنها: التوسّط في كل أمر، لعله لم يدرك من أن وسط الشيء يعني بالضرورة أن تكون في المنتصف حيث يكون ابتعادك عن كلا الطرفين على مسافة موحدة فلا زيادة ولا نقصان، بينما يختلف الأمر بشكل كبير مع الميزان، إذ أن الميزان لا يفرض التوسط بل يعني أن يكون لديك كفتين حين توزن أي أمر أو أي شيء، ما يعني أنه قد يكون أثقل فتهبط الكفة أو أخف فترتفع الكفة، وهذا مغاير للوسطية تماما، ﴿وَأَقِيمُوا الوَزنَ بِالقِسطِ وَلا تُخسِرُوا الميزانَ﴾، فالقِسط يعني بالضرورة العدل، فليس من العدل مثلا أن تساوي بين الرجل والمرأة، فلا يحسن اعتماد الوسطية هنا، بل باعتماد الميزان الذي يمنح كلّ حقه وفق البنيّة التي خُلق عليها، أما ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلنَاكُم أُمَّةً وَسَطًا﴾، فوسطا هنا في الأنبياء، بين من غلا فيهم، كالنصارى، وبين من جفاهم، كاليهود، ووسطا في الشريعة وعليه؛ لعل الأولى أن يكون المصطلح أمة (الوسطية والميزان).

ميزان القيم

الميزان.. في (القيم)، يعني بالضرورة عدم الامتثال للقيمة على عمومها، بل امتثال السلوك لميزان تفرضه القيمة، فممارسة التراحم والرحمة مطلوبة غير أنها لا تشمل ممارسي الشذوذ الجنسي، وممارسة المساواة والعدل مطلوبتين غير أنهما لا تعني مساواة المرأة بالرجل، وممارسة الصدق مطلوبة، غير أنه غير مشمول مع العدو، فلكل قيمة ميزان تتشكل عبرها السلوكيات، فمساحة الممارسات القيمية واسعة تشمل النيّة والسلوك معا، كما أن مجرد الإيمان بالقيمة لا يعني أن صاحبها ممتثل لها ما لم تترجم لسلوك وممارسة، وقد ارتقى الغرب حين جعل للقيم تشريعات، بل قنّن لها فأصبحت صناعة، وهو ما وجدناه في حزام أمان المركبات مثلا كتطبيق ليعزز لقيمة الأمان والسلامة للركاب، ويحد من حالات فقد الحياة، وفي المحافظة على البيئة وغيرها كثير، فللقيم ميزان وجميل أن يتم تعهده بصناعة لا لمجرد ادعاء.

ميزان السلّم الاداري

الميزان.. في (الهياكل الادارية) إذ تعتمد سلالم وهياكل إدارية وفق مسؤوليات، وظاهرة الهيكل نجدها مع أصغر مخلوق عبر توابع الالكترونيات مع البروتونات، و ممالك الحشرات مثل النحل والنمل، ولدى الحيوان في مثل مجتمع الأسود، ومع رئيس القبيلة، ومجاميع العمل، ورئاسة الدول، وتستمر الهياكل في الكون الفسيح عبر توابع الكواكب من الأقمار، وتوابع الشموس من المجرات، فإن اختل الميزان صارت النزاعات في الأرض وتحولت لحروب، وإن اختل الميزان في المجرات صار الدمار الشامل للكون.

ميزان النظر

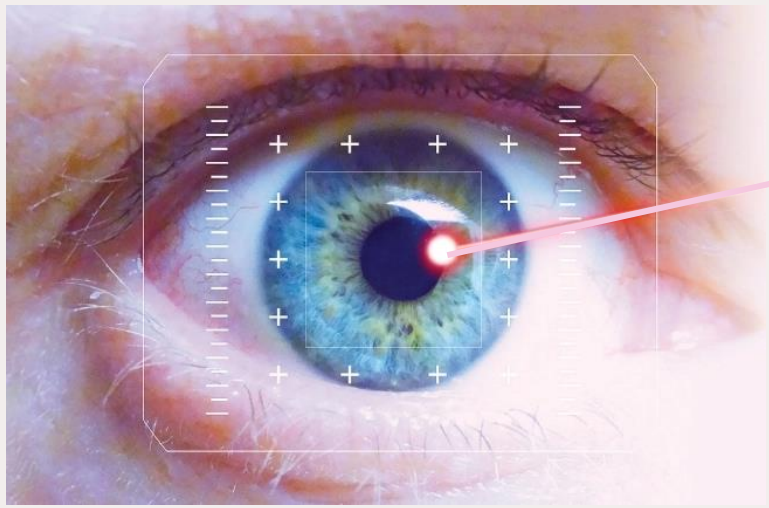

الميزان.. في (النظر) له أحكامه، فهو مطلب شرعي في الشهادة، وهو محرم على عورات الناس، وفي الإجلال إذ كان رسولنا الكريم في حضرة الله تعالى فوصفه إذ قال: (مَا زَاغَ ٱلۡبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ)، وفيما يقّر في القلب بتغليب الآخرة على متاع الدنيا (وَلَا تَعۡدُ عَيۡنَاكَ عَنۡهُمۡ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ)، وهو تعبدٌ حين يكون بالتأمل في السماوات والأرض إذ قال تعالى: (أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلۡإِبِلِ كَيۡفَ خُلِقَتۡ ١٧ وَإِلَى ٱلسَّمَآءِ كَيۡفَ رُفِعَتۡ ١٨ وَإِلَى ٱلۡجِبَالِ كَيۡفَ نُصِبَتۡ ١٩ وَإِلَى ٱلۡأَرۡضِ كَيۡفَ سُطِحَتۡ ٢٠)، كما السير يكون بالضرب في الأرض، والاستكشاف العلمي والطبيعي، والتنقيب عن آثار الأمم الغابرة للإعتبار (قُلۡ سِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ ثُمَّ ٱنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُكَذِّبِينَ)، ولا يقل النظر في ذلك عن حاستي السمع واللسان ذلك (إِنَّ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡبَصَرَ وَٱلۡفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنۡهُ مَسۡـُٔولٗا).

ميزان البروتوكولات

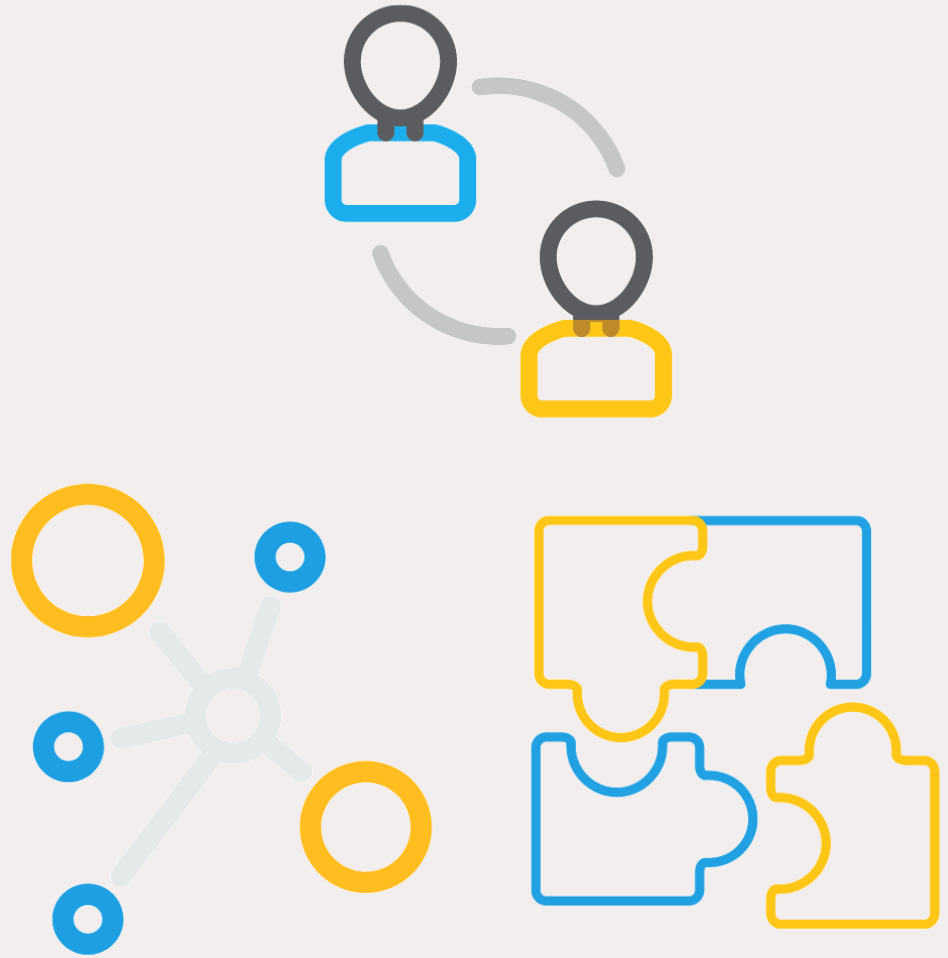

ميزان.. (البروتوكول) ويعني التعرف على القاعدة التي توجه الكيفية التي يجب أن يؤدى بها تصرف أو نشاط ما (1)، فهذه الكيفية نجدها دقيقة في العديد من التوجيهات والظواهر من حولنا، إذ شملت الطبيعة والحيوان والإنسان جميعا، ففي مناسك الحج نجد البروتوكول عبر (فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِى ٱلْحَجِّ) وفي الطلاق (فَإِن طَلَّقَهَا فَلَا تَحِلُّ لَهُۥ مِنۢ بَعْدُ حَتَّىٰ تَنكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُۥ) ، وفي الدَّين نجد (إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيْنٍ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَٱكْتُبُوهُ)، وفي المهام (سُبْحَـٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا)، وفي صلاة الحرب (إِنْ خِفْتُمْ فَرِجَالًا أَوْ رُكْبَانًا) وبروتوكول الصلاة يكون بالصلاة ماشيا على الاقدام أو ركبانا على الخيل والابل، ومع الحشرات حين (قَالَتْ نَمْلَةٌ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّمْلُ ٱدْخُلُوا۟ مَسَـٰكِنَكُمْ) فهو توجيه من صاحب السلطة والمسؤولة بروتوكوليا عن قومها كي لا تعم الفوضى حال صدرت من نمل أخريات، ومع الملوك كحال بلقيس إذ (قَالَتْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا۟ إِنِّىٓ أُلْقِىَ إِلَىَّ كِتَـٰبٌ كَرِيمٌ)، وفي لقاء نبينا بالله تعالى حين اعرج (مَا زَاغَ ٱلْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ)، ومؤشرات البروتوكلات لا تنقضي عبر كون الله الفسيح.

ميزان التعايش

ميزان.. (التعايش)، فسبحانه قد جعل التعايش فيما بين الإنس، وما بين الإنس والحيوان، بل عزز (لتعارفوا) عبر الاتفاقيات الدولية، والتعايش سمة مطلقة شملت حتى الطبيعة، ففي البحار نجدها ما بين برزخي الماء، وفي الأزمان نجدها ما بين الليل والنهار، ومع الأضداد نجدها في الطعام كالمالح والحلو، ومع الحيوان نجدها فيما بين الحيوان والطير، ومع اتحاد الذرات نجدها فيما بين الكلور والهيدروجين لإنتاج الملح، وما بين الهواء والنار لرفع المناطيد، وما بين قوة الطرد المركزية الناتجة عن دوران الأرض والجاذبية الأرضية لدوران آمن حول الشمس، فمع سائر المخلوقات من غير الإنسان فهو ملزم، ومع الإنسان فهو اختيار، وإلا فمعيشة ضنكا.

ميزان التكامل

ميزان.. (التكامل)، فيما بين وظائف الجسم في جسم الإنسان وأجسام الحيوان والحشرات وكافة المخلوقات الحية، وفي تكامل وظائف المَركَبَات، اذ كل جزء فيها يستكمل الأدوار الأخرى لتتحرك المركبة سواء كانت مركبة أرضية أو مائية أو فضائية، وتكامل كافة وظائف العمل في المجتمع فكل فرد في المجتمع سيحتاج وظيفة الآخر كالطبيب والمهندس والصنائعي والفني، والقائد والمسؤول ومن تحته من موظفين، فالتكامل سمة في هذا الكون، وهو ما جعل مراجع تُحرر ليهتدي بها المُشغّلون في جميع الصناعات في عمليات الإنتاج.

ميزان الصفات

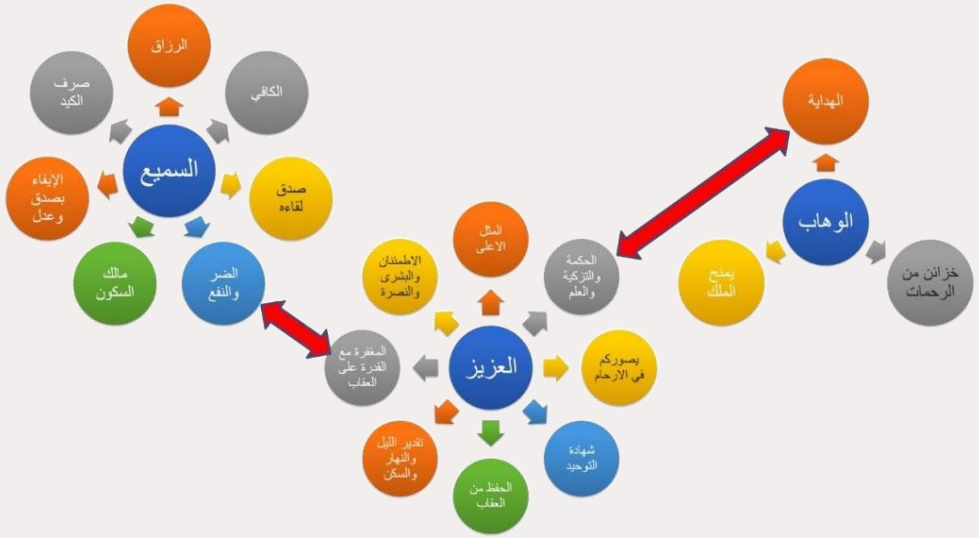

ميـــزان.. (الأســماء والصــفات)، فلله الأســماء الحسـنى فـادعوه بهـا، والـدعاء بهـا يتطلـب إدراكـا سـليما ومعتقدا نقيـا حيـال مـن نعبـده، وقد ورد عـن نبينـا الكـريم (مـن أحصـاها) ولـم يقـل مـن عـدها ، والإحصاء يستلزم إدراك علاقة الأسماء والصفات مع بعضها البعض (2) وعلاقاتها بما خلق في كونه، لتتسع بذلك مدارك الإنسان وتتعدد على ضوء ذلك القراءات لديه، وما (ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ) إلا زيـادة فـي سـعة مـدركات القـارء حيـال مـا تطالعـه حواسه ليرتقي بأدائه، وقد جاء في الحديث القدسي (أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي) إشارة لسبر ما قد تتضمنه وتشمله صفات الله واسماءه من رحمات وإحاطة.

ميزان النسبية

ميزان.. (النسبية) يفرض التثّبت، حيث يصعب الحكم على ما تراه على أنه حقيقة، أو الاستسلام للحواس على أنه واقع، وما (فتبينوا) إلا تعززاً لأهمية الإحاطة، كما الحكم من قبل القاضي على جناية ما، إذ يستوجب الأدلة والإثباتات ليطمئن حيال ما سيصدره من أحكام، و في الفيزياء فإن مقياس الزمن يتوقف على سرعة الأجسام وشدة الجاذبية التي يتحرك فيها الجسم، وأصبح بذلك تقلص وتمدد الزمن مفهومًا أساسيًا لفهم الكون (1) ، ويعزز في ذلك رسولنا الكريم مساحة النسبية حين قال (إن الحلال بين وإن الحرام بين وبينهما أمور مشتبهات لا يعلمهن كثير من الناس)، فالمشتبهات هو نطاق النسبية وهو ما يحتاج للتثبت، لذا لا يصح الحكم على آكل لحم الخنزير بالحرمة فلعله أكل خشية الموت عن عدم توفر طعام، أو فيمن شرب الخمر خشية الموت عطشا بالرغم من أن الاحكام في الخنزير الخمر واضحين بالحرمة.

ميزان الحوار

ميزان.. (الحوار)، بيان وتوجيه يسوقه الله الينا في حوار صار فيما بينه وبين نبيه موسى عليه السلام، إذ قال تعالى: (وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَـٰمُوسَىٰ) كإشارة لنهج في كيفية الدخول لنفوس البشر، وفيما دار من حوار بين الخضر وموسى عليهما السلام إشارات وتوجيه حيال عدم الاستسلام عما نراه عبر الحواس لممارسة الصبر كعنصر في ممارسة الحوار لحين جلاء الحقيقة، وفي حوار من عاداك من قومك باستخدام (يا قوم) بنسبتهم إليك، ومع الأعلى مقاما وتعظيما (إِنِّىٓ أَنَا۠ رَبُّكَ فَٱخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِٱلْوَادِ ٱلْمُقَدَّسِ طُوًى)، ومن أجل اطمئنان القلب إعتمد اليقين نبذا للشك (قَالَ رَبِّ أَرِنِىٓ أَنظُرْ إِلَيْكَ ۚ قَالَ لَن تَرَىٰنِى وَلَـٰكِنِ ٱنظُرْ إِلَى ٱلْجَبَلِ)، ومع المجادلين بالمنطق (قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأْتِى بِٱلشَّمْسِ مِنَ ٱلْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ ٱلْمَغْرِبِ فَبُهِتَ ٱلَّذِى كَفَرَ)، ومع الضعفاء بالإنصات والاستقبال بوجه طلق تنبيهاً (عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ)، وفي النصح بتكرار مشاعر الود (وَإِذْ قَالَ لُقْمَـٰنُ لِٱبْنِهِۦ وَهُوَ يَعِظُهُۥ يَـٰبُنَىَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ)، وحين تُغيّب الحقيقة بالمبادرة نصرة للحق بالتبين (وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَآ إِن كَانَ قَمِيصُهُۥ قُدَّ مِن قُبُلٍ)، فللحوار موازين ومسارات.

ميزان التقدير

ميزان.. (التقدير)، حين أسجد الله تعالى الملائكة لآدم (وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُواْ لِـَٔادَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ)، ويكون بعدم التّجهم حتى مع الأقل شأنا (عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ)، وكان مع أبي بكر رضي الله عنه برد عطيته لمن تكلم زورا بالإفك، ومع رسولنا صلى الله عليه وسلم حين قام لجنازة اليهودي، ومع الحيوان في تقدير مقام الذكور مقابل الإناث كالأسد أمام اللبؤات، ومع نبينا سليمان عليه السلام وتقديره عما أحاط به الهدهد ما لم يحط به، ومع تقديره وتقديمه عمّن جاء بعرش بلقيس قبل أن يرتد إليه طرفه، وفي نبذ سلوك عدم التقدير اذ قال الشيطان (انا خير منه)، وفي عدم تقدير العطايا (ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ ﴿١٥﴾ كَلَّآ إِنَّهُۥ كَانَ لِـَٔايَٰتِنَا عَنِيدًا)، وفي عدم تقدير الضيوف (قَالَ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ ضَيْفِى فَلَا تَفْضَحُونِ)، فالتقدير من الإحسان و(هَلْ جَزَآءُ ٱلْإِحْسَٰنِ إِلَّا ٱلْإِحْسَٰنُ).

ميزان الحب

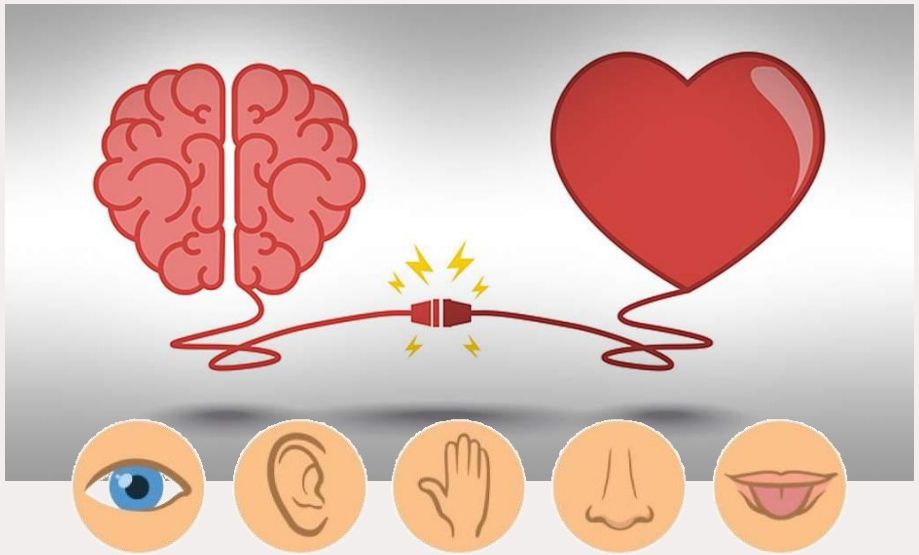

ميزان.. (الحب والكره)، معياره أن يكون عبر "مشكاة الأسماء والصفات"، لا عبر الحواس أو القلب أو العقل فحسب، فالقلب والعقل والحواس إنما هي أدوات كي تُستخدم في مطالعة ما يحبه الله عبر ما أختص به نفسه من صفات، وحتى في حبك للأشخاص، فان كانت سلوكياتهم صالحة فانت تحبهم في الله، فسبحانه لا يريد قلبا معلقا بغيره بل له فقط أو عبره فقط، والله سبحانه وتعالى يغار على قلب عبده أن يكون معطلا من حبه وخوفه ورجائه (3)، وأن يكون فيه غيره، فحين يضطرب القلب أو العقل والحواس تأتي مشكاة الأسماء والصفات لتهذب الرسالة المتلقات فيقلبها العقل، ليستوعبها بعد ذلك القلب عبر معيار "المشكاة"، فخلوف فم الصائم مع إنه منبوذ إلا إنه بمعار رب العالمين جميل، والخمرة على ما تمنحه لشاربها من مذاق فهي منبوذة لأنها رجس لا تستقيم مع "المشكاة"، والميسر والزنى والسرقة على ما فيها من متع إلا أنها منبوذة لأنها لا تستقيم و"المشكاة"، فالقرب والبعد صارت "المشكاة" ميزانا كأداة، واستبعدت باقي الأدوات.

ميزان الحقوق

ميزان.. (الحقوق)، فقد جاء عن رسولنا الكريم صلى الله عليه وسلم (فإن لجسدك عليك حقا) (4)، فحتى مع العمل، فلا ضرر ولا ضرار، غير إن الإجتهاد مطلوب شرعا، ولكن وفق الوُسع، والسعي مطلب شرعا ولكن في غير ارتباط بالنتائج، فللجسد حق، وللأهل حق، وللأبناء حق، وللبيئة حق، وللجيرة حق، وبكل عضو من أعضاء جسدك عليك حق فهو أمانه لديك بأن تتعهده بالرعاية والصحة، وثمة حق للكلمة التي تصدر منك، وحق للفكرة التي تصدرعنك، لذا جاءت (يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا) و (نٓ وَٱلْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ)، وحتى مع المشاعر ثمة حقوق في العدل ما بين الأبناء سواء عبر عطاء، أو معاملة واحتضان، أو توجيه وإرشاد، ومع الحيوان، ألم يكن مصير المومس التي سقت القطة ماء "الجنة"؟

ميزان التعامل

ميزان.. (التعامل)، أكد الفقهاء من أن الشعائر التعبدية من صلاة وزكاة وصوم لا تقبل إن كانت معاملات المسلم التجارية والتعاملية مع الغير لم تكن سوية، فقد جاء عن رسولنا الكريم من أن تلك المرأة التي كانت تصلي الليل والنهار لن تفدها صلاتها لأنها كانت تؤذي الجيران، في حين تلك المرأة المومس ستدخل الجنة في سقيا هرة، وميزان التعامل يسرى على اللسان حين يغتاب أو يمارس النميمة بين الناس، ويسرى حين يتعامل بالربى ومن يقوى على الله حين يقول (فَإِن لَّمۡ تَفۡعَلُواْ فَأۡذَنُواْ بِحَرۡبٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦۖ)، في حين السعي على حوائج الناس يكبر في الأجر عن اعتكاف شهر في مسجد رسولنا الكريم، فهو ميزان يستوجب الامتثال السلوكي الدقيق عما تؤمن به عبر تعاملات .

للمزيد طالع

وإن من شيء إلا يسبح بحمده

https://wp.me/p3WskZ-bj0

https://wp.me/p3WskZ-c1j

https://wp.me/p3WskZ-bpP

https://wp.me/p3WskZ-c1A

المراجع

1- ويكيبيديا
2- تأملات في من أحصاها، زهير المزيدي، 2021
3- اسلام ويب –مركز الفتوي
4- الدرر السنية
5- ميزان القيم ، زهير المزيدي وآخرون
6- فقه الميزان، د.على القرة داغي
7- الباحث القرآني
8- الصور من piterst